هـــذا الغروب ...

للأستاذ راشد رستم

شهدت غروب الشمس فى كل ناحية من نواحى هذا الوادى الفسيح الممتد : رأيت الشمس من أعلى الهرم الأكبر تذهب مع ذهب الصحراء ، ورأيتها تختفى وراء صفحة الماء ، أو تودع جرى خلف جبال ليبيا ، أو تغيب كاسفة وراء الأفق بين أطلال وآثار ، أو تغوص فى لجة الغيب تحت اشراف المنائر وأعالى الأشجار ، أو تحتجب عن الأبصار وسط جمع من كثيف السحاب ، أو تذوب فى سماء صافية تمسحها من لوحة النهار يد الليل القاتمة — ولها فى كل حال ماشاءت لها الأيام من وحشة أو من روعة ..

***

وهؤلاء القدماء آباء هذا القطر القديم كانوا يسيرون ، هادئين طائعين ، مع الشمس حتى الغروب : كم أعطتهم حياة وحرارة ! وكم أمدتهم بأسباب الخلود فى الجلود ! وهم اليوم قد غابوا عنها . أمّا هى فما غابت عنهم ولن تغيب عنا وإنما يأتى اليوم الذى تغيب نحن فيه كما غابوا وكما تلقيناها نحن عن الأجداد سيتلقاها عنا الأحفاد .

وهذه الشمس المائحة ، تسير عبر الوادى سابحة ، كما كانوا يقولون — تقبل عليهم نياماً وتتركهم أيقاظاً . تمنحهم بهجة النهار ، وتنزل عليهم سكينة الليل ، ولكنها بين ذلك قد تأتيهم وقت الغروب بالوحشة ذات الخفايا والظلمات ، حتى ليظنون فى يقين أن هذا الغروب وداع للنور وتسليم بظلمة الوجود .

يقطعون عن الحى الصاخب المتحرك ، ويدخلون البيوت الهادئة الساكنة كأنهم يدخلون القبور — وفى السكون مع الهدوء تنشأ الحركات — ولكنهم يتركون الفضاء الواسع والنجم الساطع ويخضعون لكابوس الليل الزائل ، يسيرون بالركب وئيداً مستسلمين ، يضمهم ويضمون اليه وهم فيه صامتون . إلا ما كان أمراً يصارح بالسكوت ، أو زجراً يروع بالهدوء ، أو همساً لآمال باليأس الممقوت .

***

أما أنا فما سألنى غروب فى هذا الوادى الخصيب ، بل دلنى كل غروب ، فى اختلاف حالاته ، على انه حركة تتلوها حركات ، وانه علامة للفصل ، تنبىء عن وجه جديد بشروق جديد ، فى نور جديد بأمل جديد .. وهكذا حييت مع هذا الفاصل ، متصلا دائماً بالأمل الجديد .

ولم أسأل نفسى ولن أسألها عما يكون مع الشروق الجديد . ولن أسأل غيرها عن غدها إذ الكل على العدميال . وما عرفنا عند الناس علم الغيب ولا عناوين الأيام .

إنما أناجى نفسى كل غروب : ماذا أعددت للغد أيتها النفس الساكنة فى قلق ، الآملة فى يقين ؟ ماذا هيأت من أثر يضاف إلى آثار سابقات ، أو من حسنة تمحو سيئات . أو من بسمة تذهب بالآهات . فيكون ذلك منك فهماً لمعنى الواجب بل لمعنى الحياة ...

حتى إذا سجيت الشمس بعد غروبها ذيل ضيائها وتمكن الليل من الأحياء ، فانى أودع صاحبى وأقول : قم يا صاح فللغروب شروق ، وللمساء صباح ...

المعادى — راشد رستم

ضحى الاسلام

هو الجزء التالى لفجر الاسلام

بحث فى الحياة العقلية للعصر العباسى الاول

تأليف

الاستاذ احمد امين

الاستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

يطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر ومن المكاتب الشهيرة

ثمنه عشرون قرشا